الصغيرة . وإذا هي تسحب إذنها عن شفتي وتهمس ضاحكة « أوه ، إنك تثيرني . هل حقا تفكر بي ؟ » . ص : ٧٥ .

تتحدد في هذا الفضاء علاقة **الذكرى بالوطن** ، وتتجلى صورة الوطن ــ الذكرى متناثرة في عالم : جاكلين / الرقص / الموسيقى / الصدر / الفم / التحسس / الأذن والشعر و« الأوه » .

تشكل هذه الصورة صورة ــ مفتاح لشكل علاقة الفلسطيني بالوطن ولكن أين الوطن ومن هو وليد عساف ؟. لنعود إلى البداية .

يتحقق الفعل الروائي في سفينة تمخر المتوسط غربا ، سفينة تنأى عن الشرق وتتجه إلى نابولي ومرسيليا ولندن ... وفوق هذه السفينة يحمل « وديع » ذكرى الوطن ويستعيد صورته تحت زناد القمر : « القدس أجمل مدن الدنيا على الاطلاق ، قيل انها بنيت على سبع تلال . لست أدري إن كانت تلالها سبعة ، ولكنني ارتقيت كل ما فيها من تلال ، وهبطت كل ما فيها من منحدرات . ص : ٢١ » ، « لذلك فان الليالي قد تأتيني بذكريات من القدس فأحزن ، واغضب ، وأبكي . ص : ٢٢ » ، « ولكن يربك من يستطيع أن يصوغ كلاما هو خبرة ثلاثين سنة في مدينة هي أجمل مدن الله ؟ محاولاتنا الابداعية ليست إلا مسكنات مؤقتة . هي نوع من البكاء . ولكن لا شيء في الحياة يعوض عن الدموع الساخنة . ص : ٢٢ » . ولما كان المكان دلالة فان « وديع » لا يتذكر الوطن إلا ويتذكر معه صديق الطفولة « فايز عطا الله » الذي استشهد بين يديه ، فصورة « فايز » تسكن « وديع » وتلازمه وتتحدد كحضور مستمر فيه : « لقد قتل صديقي وأنا عند رأسه أعجز من امرأة ، أعجز من طفل . وغابت الشمس غير حافلة بالمدينة الجريحة ..... ثم انطبقت الشفتان على خيط من الدم يسيل من زاوية الفم ، وبقيت العينان تحدقان في أسوار القدس كحجرين متلالئين . ص : ٧١ » .

يرسم الفعل الروائي ، إذن ، علاقة المنفي بوطنه وحضور هذا الوطن بأصدائه المتعددة في ذات المنفي . وكي نعرف شكل هذه العلاقة ودلالاتها وتميزها علينا أن نحدد الوسط الاجتماعي الذي تمور فيه هذه العلاقة وعلينا أن نعرف أيضا خصائص الذات المتذكرة التي لا تكف ذاكرتها عن الهجرة إلى الوطن ــ الماضي :

ــ « قد يبالغ المرء في بعض مشاعره بفعل الظروف المحيطة بما يرى : بفعل الليل والبحر والقمر والويسكي واستسلام النفس في السفينة . ص : ١٠٠ » .

ــ « كان في الجنون القمري شيء من كآبة ، ولوعة ، وهول ــ وشيء من حب مبهم مشترك بيننا . لقد انجذبنا جميعا إلى ركننا القصي ، ... ونحن نتحدث عن الجزر الاغريقية ، وعن لعب الورق ، وعن الانتحار ... ص : ٩٨ » .

من هم أصدقاء وديع عساف الذين يعيشون عالمه والذي يعيش عالمهم ؟ هم الدكتور فالح المنتمي إلى ارستقراطية منقرضة وزوجته لمى ، الفرنسية جاكلين ، والايطالية إميليا فرنيزي ، والاسباني فرناندو ، وعصام السلمان .

إذا سألنا عن شكل الثقافة التي يحملها هؤلاء والخط الذي يحكم حوارهم واهتماماتهم ، فان الجواب لا يتباطأ بل يأتي سريعا ليزيد اللوحة إنارة ووضوحا :

ــ « أتعرف صورة القديس يوحنا المعمدان التي رسمها بوتيشلي ؟ قلت من ؟ . بوتيشلي . رسام إيطالي من رسامي النهضة . ص : ٥٦ » .